نافذة

المرأة والجرأة

رغم كل الانفتاح العالمي وتحوّل العالم إلى قرية أو بلدة صغيرة، هذه التسمية التي تعني أن الكل يرى الكل، ويتابع حتى أدق تفاصيل حياته، إلا أن المرأة مازالت في مجتمعاتنا العربية خجولة، وتخفي ما تحب أو تشعر به، وربما تكتمه إلى أن ينتهي معها، فإذا أحبت ففي الأغلب تخفي هذه المشاعر، وتنتظر أن يفصح الآخر عن حبه لها، وإذا رغبت في فعل يضيف سعادة أو متعة تتردد خوفاً، أو أن تخلق شكاً، وهذا كثيراً ما يحدث حتى بين الأزواج، وخاصة عند ممارسة الحب، ما يسبب لها الآلام، وصحيح أن المرأة خجولة في طبعها ومبادراتها، وتختلف عن الرجل، إلا أن فهمها لحقوقها ووعيها الذي غدا مهماً ومطالبتها بالمساواة الحياتية مع الرجل، نجدها حتى اللحظة تخاف من ردات الفعل، على ما تحلم أو ترغب فيه، وما يرغم فكرها على الخوف هو القوانين المعمول بها، والتي تجرمها مباشرة أمام أي مصارحة.

العالم تغير، وغدت العلاقات الوفاقية أكثر من طبيعية، فيكفي عند العوالم المحيطة أن تقول المرأة نعم أو لا، ليكون القانون من صفّها، ولها أن تطلب من الرجل ما تشاء، مادامت أنها تسعده وتسعد فكرها وحضورها، فالقوانين والشرائع مازالت سيفاً مسلطاً ينتظر أي جرأة منها حتى يقتص منها، فإذا لم تتقدم وتجتهد وتؤمن بأنها لم تعد وحيدة أو منفردة في الحياة، فإنها ستبقى خلف الرجل، والظروف اليوم تسمح لها بأن تتطور معرفياً وفكرياً وعلمياً، وكلما امتلكت فنون التطور حازت مكتسبات من الرجل، الذي باتت قدراته تتقلص أمام تقدمها.

إنها ليست كما الأمس، وما ينقصها فقط الجرأة الواعية، فهي كالسوسنة بين أشواك الذكورة، فإذا تجملت ظهرت كالبدر الأمين، وإذا تحدثت انساب صوتها اللطيف بين الشفاه المرسومة كسلكة من القرمز بين خدي رمانة محمولين على برج الزبرجد أو العقيق، والثديان كخشفتي ظبية، توءمان يرعيان بين الزنبق والياسمين، إلى أن يتفتح النهار، وتنهزم الظلال ولترتمي كأنثى بين أحضان فجر عاشق، أو زوج صادق، أو صديق أمين.

المرأة لا تكذب إلا إذا علمها الرجل الكذب، ولا تخون إلا بعد أن يخونها حبها أو زوجها، ولا تغدو عاهرة إلا إذا فتح لها باب العهر، ولا داعرة إلا أن أجبرت على ذلك، وهي تخلص أيما إخلاص إن أخلص لها، فهي تمضي جل عمرها تبحث عن الحب الذي يختص بها، وتجد فيه صديقها وعشيقها وزوجها.

هل امتلكت المرأة جرأة الوقوف إلى جانب المرأة، وتخلت عن اعتبارها ضرتها ووحدت لغتها المطلبية؟ فإذا لم تنتصر لوجودها فسيبقى الرجل يعتليها ويدير قدراتها ومنتدياتها ومؤتمراتها، ويضع لها أسس عملها.

متى ستنتهي المرأة من الخوف والهروب من كلمتي أنا متزوجة، وأنا عذراء، أو لن أقدر على التعارف قبل أن تطلب يدي؟ متى ستبادر إلى تنظيم أسرتها، وأن طفلاً أو طفلين يكفي؟ وأن جسدها هي وحدها من تمتلكه، ولها الحرية في منحه والحفاظ عليه لمن هي تريد ضمن أصول رشدها وفهمها لاحتياجاته، أي بعيداً من المساومات أو تقصير المشرف عليها مادياً أو جنسياً، ولكن هل القوانين الشرعية تتوافق مع توجه المساواة وتقدم الحرية الفكرية عند الأنثى، أم إنها مدانة عند أي تجاوز؟ وأيضاً نجدها محكومة للإرث والعادات والتقاليد، حتى الأمهات اللائي مررن بمراحل المراهقة والشباب قبل الزواج كن يقلن عندما أصبح أماً سأمنح الكثير من الحريات، وبشكل خاص للبنات، وحينما غدون أمهات مارسن الطقوس ذاتها، وأضفن عليها، وهنا أستثني البعض الذي تنور، ومعهم معتنقو الديانات الأخرى ضمن مجتمعاتنا العربية التي تطورت في شرقنا كثيراً، وهنا أيضاً علينا أن ننتبه، فأنا لا أنادي بالإباحية، ولا بالخروج عن الأعراف، إنما أتجه إلى العلمية وبناء علاقات واضحة وصريحة.

ندية المرأة تمتاز بالاضطرابات العاطفية الناتجة عن عدة ظروف، منها الحمل والإرضاع والدورة الشهرية وانقطاعها والحب، وفشلها أو نجاحها فيه، وخيانة الحب ولهاثها خلف الرجل زوجها أو حبيبها في حركته ومسيره وآثاره المتروكة على الملبس والجسد، وأين ذهب ومع من جلس، ومتابعة الأبناء وتقدمهم وتأخرهم العلمي والعملي، فهي تفقد الكثير من مباهج عمرها، ولحظة أن تستفيق تجد ذاتها وقد سرق العمر منها أجمل ما فيها، إنها تمتلك جاذبية نوعية، تمتلك العديد من الأسرار، وما ينساب من بين شفتيها يؤكد حضورها أو نفيها، ما يأخذ بنا للقول: إنه لا يمكن لنا أن نتخيل الحياة من دون المرأة، التي لا تجمع، لأنها بمفردها جمع، والسبب أنه من الممكن أن تكون أكثر وأكثر مع حملها وحبها وردود فعلها وانتقامها، هذه التي تحمل صفات الأنثى اللبوة التي تقتحم الحياة العامة إلى حياة الرجل، بعيداً من اتزانها، فإذا بالغت فيه حد من جرأتها أمامه رغم قدرات إمكاناته الجسدية وقدرته على اختراق الصعاب، ما يهيئ له الوصول إلى مصانع القرار، وهذا ما يشير إلى أن المرأة لا توازي جرأة الرجل، إلا أن امتثالها لقواعد الحياة ومن ثم اختراقها وهي قادرة إن سيطرت على عواطفها، أن تتجاوز قواه وقدراته، ولنا في الطفرات، منها ما يؤيد ذلك، فالعصمة مثلاً في يد الرجل من أجل الحفاظ عليها، ولو أنها بيدها لتزوجت وطلقت في كل يوم رجلاً، وربما كان استجاب إلى ما تريد، هي حكمة الانفعال وضبطه في لحظات القضايا المصيرية، وأن كل ما فات من عمر النساء لن نتوقف عنده، المهم الآن أن يبدأا في إعداد الأجيال الصاعدة حالياً وإلى الغد، فأهم ما ينبغي أن يكون هو التوجه السليم ضمن مراحل التكوين، وبشكل خاص مراحل المراهقة، وحمايتهن من التجارب الضارة، وعوامل الخطر التي قد تؤثر في قدراتهن في النمو العقلي والجسدي، ومعه يكون بناء الفكر الاجتماعي والحقوقي، وهذا ما يجب أن تتبعه الأسر، وتشجعه الدولة، كي يكون هناك إنسانية فاعلة منتجة مدركة لما لها ولما عليها.

تولد المرأة حرة، الرجل يقيدها، ومن المفترض أن يقيد القانون الرجل الذي صاغه بين الوضعي والشرعي، وشكمها خلفه، ومن ثم راح يدعو إلى تطويرها، فهذا اعتبرها هدفاً جنسياً، وذاك جسد رأسها وأخضعها حتى بالضرب في مضجعها، وهي حملت راية المساواة معه، وكثيراً ما كتبت أن المساواة لا تتم إلا بعد وصولها إلى الاستقلال الاقتصادي، ما يستوجب أولاً وأخيراً تعديلات حاسمة في القوانين الشرعية والوضعية التي تخصها.

هل راقبتم عبقرية المرأة وهي تغزل وتتغزل، وكيف بها تطارد الرجل من أجل مساواتها به، كما تطاردهم العدالة عند أصغر خطيئة، رغم أنها في مجتمعاتنا العربية عروبية في مطاويها الدفينة، تحمل أريحية نادرة وشاعرية جذابة ناهيكم عن السماحة والطيبة والإشراق الحسن وعذوبة الكلام وبشاشة المحيا، كل هذه الصفات لم تمنحها جرأة التخلص من إرث الماضي المحكومة له.

هل تستطيع أي امرأة كبت أحاسيس الأنوثة؟ حتى وإن نشأت نشأة الرجال، لا يمكن، لأن طبيعتها تستعيد حقوقها الأنثوية، أي يتداعى استرجالها عند أول خفقة حب أو نظرة عشق ثاقبة، فإلى من خطت بيراع النور فلسفة حضور الإنسان الذكر واستمراره، التي مازالت تخطّ بيراع الخلود سفر إنتاج الإبداع والتطور والعظمة والجلال القادمة من رحمها، هذا الذي منه ظهرت الأمم، وأضافت من خلالها تواريخ حضورها وحضوره، تقدمي، تعلّمي، تعرّفي، امتلكي قرارك، وكافحي وصولاً إلى ما تحلمين، تجرّئي بالحق ولا تهابي السقوط.

د. نبيل طعمة

لابد من مراجعة المعايير والممارسات الخاطئة

دعوة عالمية لمحاربة انتشار الفساد في التعليم العالي على مستوى العالم

أ. د. وائل معلا
رئيس جامعة دمشق سابقاً

نشرت مجلة «عالم الجامعات» الإلكترونية البريطانية University World News مؤخراً مقالاً بعنوان «دعوة لمحاربة انتشار الفساد في التعليم العالي على مستوى العالم» Call to fight the spread of corruption in HE globally استناداً إلى تقرير جديد صادر عن مجلس اعتماد التعليم العالي Council for Higher Education Accreditation (CHEA)، ومجموعة الجودة الدولية التابعة له CHEA International Quality Group (CIQG)) ومفاده أن الفساد في التعليم العالي موجود في كل مكان ومتنوع ويؤثر في كل جزء من أجزاء العالم إلى حد ما، لكن أنواعه ومعدلات انتشاره تختلف من دولة إلى أخرى.

وحسبما خلص إليه تقرير مجلس اعتماد التعليم العالي، على الرغم من أن هيئات الاعتماد وضمان الجودة بشكل عام لديها مجموعة من العقوبات التي يمكن تطبيقها على المؤسسات لإقناعها بوجوب معالجة أي فساد وسوء تصرف واضح، فإنه من غير المحتمل أن تتمكن معظم الأساليب المتبعة في تقييم مؤسسات التعليم العالي من أن تكتشف أدلة واضحة على الفساد.

يحمل التقرير عنوان «سياسات وإجراءات هيئات اعتماد وضمان الجودة لمكافحة الفساد في التعليم العالي»، وهو موجه إلى المنظمات المسؤولة عن ضمان جودة ونزاهة التعليم العالي أو البحث العلمي، والهيئات الحكومية التي تشرف على عمل تلك الهيئات والمنظمات وتوفر التمويل لأنشطتها.

وتدعو الدراسة هيئات الاعتماد وضمان الجودة إلى مراجعة اختصاصاتها ومعاييرها لمعالجة الفساد والممارسات الخاطئة بشكل أكثر فاعلية، والتعبير بوضوح عن التزامها بالحد من الفساد.

جُمعت الأدلة التي استندت إليها الدراسة من مراجعة الأدبيات والاستبيانات عبر الإنترنت، ومن العديد من المقابلات والنقاشات، واستند التحليل إلى ٦٩ رداً صالحاً من هيئات الاعتماد وضمان الجودة والشبكات التابعة لها، إضافة إلى ٢٢ مساهمة أكثر تفصيلاً. وهدفت الدراسة التي أعدها باحثون من جامعة كوفنتري في المملكة المتحدة، إلى إعلام هيئات الاعتماد وضمان الجودة بالوضع الحالي للفساد في التعليم العالي على الصعيد العالمي، ومن ثمّ المساهمة في تعزيز فعالية السياسات التي تعالج أشكالاً مختلفة من الفساد، والتوصية بالممارسات الجيدة واقتراح مؤشرات الإنذار المبكر عن اختراق معايير ضمان الجودة في التعليم العالي والبحث العلمي. كما يؤكد واضعو التقرير أن للنتائج التي توصلوا إليها أيضاً آثاراً على جميع اللاعبين الآخرين المعنيين بمكافحة الفساد في مجتمع التعليم العالي.

أوجه الفساد في التعليم العالي

بحسب التقرير، يمكن أن يكون الفساد في التعليم العالي في تطبيق الأنظمة نفسها، كما يمكن أن يقع في آليات قبول الطلاب واستقطابهم، وفي عملية التدريس نفسها، وفي عملية اختبار الطلاب وتقييمهم، وفي بيانات الجامعة عن مؤهلات طلابها، وكذلك في البحث العلمي والمنشورات العلمية.

لكن التحليل الموضوعاتي للبيانات النوعية حدد ثلاث فئات إضافية تضاف إلى الفئات الست التي استند إليها البحث وهي: الفساد في حاكمية مؤسسات التعليم العالي؛ والتشبيك والتعاون بين هيئات الاعتماد وضمان الجودة والهيئات الأخرى للتصدي للفساد؛ واعتبارات خاصة بتصورات مختلفة من النزاهة والجودة والمعايير.

الفساد في تطبيق أنظمة التعليم العالي

رغم وجود أدلة على حدوث فساد في إدارة وتطبيق أنظمة التعليم العالي، إلا أن ٦٤ بالمئة من المشاركين في الدراسة أعربوا عن عدم قلقهم حيال ذلك، بل كان البعض على ثقة من أن التدابير الحالية المتخذة تضمن بقاء الفساد تحت السيطرة. ومن هذه التدابير، التقيد بالشفافية في جميع الجوانب، بما في ذلك تعيين المسؤولين ونشر التقارير، واحترام قواعد النزاهة؛ ومراعاة أن يتّصف هؤلاء المسؤولون بالنزاهة، وعدم وجود أي تضارب لمصالحهم الخاصة مع المصلحة العامة؛ والتقليل من البيروقراطية؛ واستحداث سلطة مستقلة للتعامل مع الشكاوى والطعون؛ واستقلالية هيئات الاعتماد وضمان الجودة عن التأثيرات الحكومية؛ وإعادة هيكلة قطاع التعليم العالي الخاص؛ وممارسة التفتيش الرقابي المفاجئ على المؤسسات التعليمية.

أوردت الدراسة أمثلة متنوّعة على الفساد في حاكمية مؤسسات التعليم العالي، من تدخل سياسي يحتمل أن يهدد استقلالية المؤسسات، إلى تدخل في القرارات المؤسساتية، وحظر بعض المواد من المناهج الدراسية، وسجن أكاديميين لأسباب سياسية أو عقائدية، وتجاوز قرارات تمويل البحوث.

كذلك أورد التقرير أمثلة أجبر فيها أعضاء هيئة التدريس في بعض الدول على دفع الرشوة مقابل حصولهم على موقع مناسب؛ والأمثلة عديدة على وجود أساتذة وأشخاص في مواقع قيادية في الجامعات يحملون درجة دكتوراه مزيفة أو غير مستحقة، الأمر الذي يؤثر سلباً في حاكمية جامعاتهم، كما كشف التقرير عن وجود رسائل علمية مسروقة بالكامل.

عدم وجود علامات مرجعية عالمية Global Benchmarks

ويشير التقرير إلى أن أحد أهم المشاكل هو عدم وجود علامات مرجعية عالمية أو معايير عالمية للتعليم العالي، أو حيثما وجدت، فهناك عدم اتساق في كيفية تطبيقها، ومما يفاقم المشكلة الافتقار إلى أنظمة داخلية وخارجية قوية لضمان جودة.

ولا يزال التمييز بين الجنسين يمثل مشكلة في بعض البلدان، ويستشهد التقرير بمثال بإحدى الجامعات اليابانية التي قررت قبل عدة سنوات تعديل نتائج الامتحانات بشكل روتيني لضمان ألا يزيد عدد الإناث من خريجي كلية الطب عن ٣٠ بالمئة!!

أعرب عدد من المشاركين في الاستفتاء عن قلقهم بشأن الفساد الذي يطول الدور التدريسي، ولكن القلق الأكبر والمخاوف الجدية كانت من الفساد في تطبيق آليات توظيف وترقية أعضاء هيئة التدريس وتغيب الأساتذة والمدرسين عن محاضراتهم وتقصيرهم في أداء واجباتهم التدريسية، علماً أن الفساد في العملية التدريسية يمكن أن يكون من الآثار الجانبية للتوسع الكمي الكبير في التعليم العالي، وهو ما يطلق عليه اصطلاحاً «جمهرة التعليم العالي» massification of higher education، والضغوط التي يواجهها أعضاء هيئات التدريس من أجل نشر بحوث علمية، وضعف الأجور وانعدام الأمن الوظيفي.

وذكر التقرير أنه في كوسوفو، على سبيل المثال، يعد تغيب كبار الأكاديميين عن تأدية واجباتهم التدريسية، وقيامهم في كثير من الأحيان بتفويض مسؤولياتهم في التدريس أو الإشراف إلى زملائهم المبتدئين، أو طلاب البحوث، ظاهرة واسعة الانتشار بسبب نقص الخبراء في بعض المواد الأكاديمية على مستوى الأساتذة.

ولم يغفل التقرير وجود بعض حوادث المضايقات والتحرش الجنسي التي يرتكبها العاملون والطلاب معاً، بما في ذلك أمثلة عن معلمين يطالبون بعلاقات جنسية من الطلاب مقابل الحصول على درجات تفضيلية في العديد من الأماكن.

مخاوف كثيرة حول القبول

كان هناك الكثير من المخاوف بشأن الممارسات الفاسدة في عملية قبول الطلاب واستقطابهم لمؤسسات التعليم العالي، وخاصة الدعاية المضللة التي تطلقها بعض المؤسسات وكشوف العلامات والمصدقات المزيفة، وكذلك رسائل التوصية المزيفة والغش في اختبارات القبول، والتساهل الكبير في منح العلامات العالية لغير مستحقيها. وتشمل الأنشطة الفاسدة قيام بعض الوكلاء بإعداد مؤهلات مزيفة لتأمين قبول الطلاب في مؤسسات التعليم العالي، كما تشمل منح تفضيلات وتسهيلات على خلفية الرشوة أو العلاقات الخاصة أو المحسوبيات أو الزبائنية؛ واستخدام منتحلي الشخصية لإجراء الاختبارات.

ومن الأمثلة المهمة عن هذه الممارسات اعتقال العشرات من الأثرياء في الولايات المتحدة بتهمة الرشوة والاحتيال لتأمين القبول في جامعات النخبة لأولادهم. وفي فرنسا عدد من حالات إيقاف أساتذة كبار عن التدريس ومنعهم من الإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه لثبوت تورطهم في جرم التحرش الجنسي وممارسة ضغوط لا أخلاقية على طالباتهم، وخاصة الأجنبيات منهن.

وإحدى المشاكل الأخرى هي وجود مؤسسات مزيفة لها علامات تجارية مماثلة للجامعات ذات السمعة الطيبة.

قد تشمل الحلول التي تقلل من الفساد في القبول الجامعي نظام تحقق مركزي لجميع طلبات الطلاب الجامعيين «كما هو الحال في المملكة المتحدة وليتوانيا»، وامتحان قبول وطني «كما هو الحال في روسيا والصين».

السرقات الأدبية والغش Plagiarism and cheating

أثير عدد كبير من المخاوف بشأن السرقات الأدبية والغش في التقييم المستمر، والغش في الامتحانات الرسمية والعقود الاحتيالية باستخدام «معامل حلقات البحث والأطروحات» essay mills و«الكتاب الأشباح» ghost writers.

وتشمل الإجراءات التي اتخذتها هيئات الاعتماد وضمان الجودة والحكومات والمؤسسات ضد هذه المشكلات دعم تطوير أو شراء برامج للمساعدة في الكشف عن السرقات الأدبية «المملكة المتحدة وسلوفاكيا وسلوفينيا»؛ وتوفير الأدلة التوجيهية «المملكة المتحدة، أستراليا»؛ وسن تشريعات لجعل شركات العقود الاحتيالية والإعلان عن خدماتها غير قانوني «نيوزيلندا، أيرلندا»؛ واستخدام التشريعات لمحاكمة السلوك الاحتيالي (الولايات المتحدة ونيوزيلندا).

وقد تم الرد على الأسئلة المتعلقة ببيانات الاعتماد والمؤهلات من قبل ٤٠ من أصل ٦٩ من المستفتين، وهو ثاني أعلى مجال للقلق. هنا تم الإعراب عن القلق الأكبر حول «معامل الدرجات العلمية وشهادات الاعتماد»، يليها تزوير كشوف العلامات ووثائق الشهادات، وبيانات كاذبة عن المؤهلات في السير الذاتية وطلبات العمل.

والحل المتطور هو شبكة إعلان جروننجن Groningen Declaration Network، وهي شبكة سريعة النمو من المنظمات الدولية التي تقدم كل منها خدمة للتحقق من المؤهلات الأكاديمية، والعديد منها مدعوم من الحكومات الوطنية. يعمل أعضاء شبكة إعلان جروننجن بشكل متزايد على تكوين شراكات مع أعضاء آخرين لتوسيع نطاق المؤهلات التي يمكنهم التحقق منها.

يعد اكتشاف المؤهلات والدرجات غير المكتسبة التي منحتها الجامعات الأصلية عن طريق الاحتيال أو الإهمال أمراً صعباً، ولكنه مهم لأنه قد يكون ضاراً للآخرين بشكل خاص عندما يجد الأشخاص الحاصلون على شهادات لا يستحقونها أنفسهم في أدوار مسؤولة، كما هو الحال في الطب أو التعليم أو الهندسة.

ومن الغريب أن المشاركين أبدوا أقل اهتمام بالفساد في مجال البحث العلمي والنشر الأكاديمي، حيث كانت المشكلة التي تثار بشكل متكرر هي الانتحال في المنشورات الأكاديمية، تليها سرقة الترجمة في المخطوطات، والأساتذة المشرفين على طلاب الدراسات العليا الذين يقومون بنشر الأبحاث التي أجراها طلابهم.

لكن التقرير يحذر من أن هذا لا يعني أن كل شيء على ما يرام في البحث العلمي والنشر الأكاديمي، لأن الأدلة الأخرى ترسم صورة مختلفة تماماً. وقد شرعت حكومات المملكة المتحدة والصين والسويد مؤخراً في اتخاذ تدابير لتعزيز أخلاقيات البحث العلمي ومعالجة سوء السلوك في البحوث والمنشورات الأكاديمية. يقول التقرير إن الاتفاقية الخاصة بالمملكة المتحدة مبنية على تأثيرات دولية مهمة، بما في ذلك بيان سنغافورة بشأن النزاهة البحثية Singapore Statement on Research Integrity وقواعد السلوك الأوروبي حول سلامة البحوث European Code of Conduct for Research Integrity.

توصيات لهيئات الاعتماد وضمان الجودة

وقد وجهت الدراسة دعوة إلى هيئات الاعتماد وضمان الجودة لضمان الدقة في الشفافية والمساءلة والنزاهة والاستعداد لتحدي موفري التعليم العالي بشأن أي ممارسة فاسدة. وذكرت أن هيئات الاعتماد وضمان الجودة يجب أن ترصد بشكل استباقي الشكوك المتعلقة بسوء السلوك والفساد وأن ترد عليها وترتب زيارات للموقع في غضون مهلة قصيرة لمواجهة أي «لعبة» محتملة لعملية ضمان الجودة أو الاعتماد من جانب الجامعات.

ولدى هيئات الاعتماد وضمان الجودة دور مركزي في دعم تطوير الجودة التعليمية والبحثية ومساعدة مقدمي التعليم العالي على مواجهة الفساد، ويجب أن تلعب دوراً قيادياً في الدعوة إلى التشريعات لمواجهة التهديدات الصادرة عن معامل إنتاج الوثائق والشهادات المزورة وشهادات الاعتماد المزورة، وكذلك شركات العقود الاحتيالية.

وتدعو هيئات الاعتماد وضمان الجودة إلى إجراء البحوث والتشاور مع أصحاب المصلحة في التعليم العالي، بما في ذلك الطلاب، لإبلاغ وتعزيز السياسات والممارسات للتصدي للفساد وسوء السلوك في التعليم والبحث العلمي.

محاربة الفساد واجب وطني

يتبيّن مما سبق أن الفساد في التعليم العالي ظاهرة عالمية لا تقتصر على بلد دون آخر، ولا على منظومة تعليمية دون أخرى؛ ولكنّ تفشي هذه الظاهرة أمر في منتهى الخطورة، إذ يدلّ دون أدنى شك على وهن أخلاقي، وعلى خلل مؤسساتي. هنا تصبح هذه الظاهرة خطراً يتهدد أجيالاً بأسرها يعوّل عليها لتكون روافع التنمية والأذرع التي تدفع سيرورة التقدّم. إن تفشي ظاهرة الفساد في التعليم العالي ظاهرة لا يجوز بأي حال من الأحوال التغاضي عنها أو تبريرها بأي ذريعة أو تحت أي ظرف كان؛ الأمر الذي يستدعي دراسة أسبابها دراسة متأنية تخرج بنتائج ومقترحات لحلول علمية موضوعية، تمهيداً للتعامل معها بكل جدية ومعالجتها بجرأة وإنصاف واستقلالية تامة.

وقد لا يقتصر الفساد على تقويض المخططات التنموية للدولة في بناء قدرات قادرة على النهوض بعملية البناء والتنمية، بل قد يتجاوزه إلى أخطار حقيقية مباشرة إذا ما تبوأ الأشخاص الحاصلون على مؤهلات لا يستحقونها، على سبيل المثال، مواقع عالية في سلم المسؤولية، في قطاعات حساسة وحيوية كقطاعات الطب والهندسة والتعليم والإدارة الحكومية. كما أن الفساد يؤدي إلى تخفيض معدل العائد الاقتصادي للاستثمار في التعليم العالي سواء من قبل المؤسسات العامة أم من قبل الطلاب أنفسهم.

ويمكن للفساد أن يوجد على مستويات متعددة في منظومة التعليم العالي، فقد يكون على مستوى الحاكمية بإصدار قرارات تنظيمية تميز فئات على حساب فئات أخرى، أو على مستوى تعيين أعضاء هيئة التدريس وترقيتهم وما قد يتضمنه ذلك من محاباة للبعض، أو على مستوى استقطاب الطلاب وقبولهم في مؤسسات التعليم العالي، أو نزاهة العملية التدريسية والامتحانية في الجامعات والمعاهد، أو فيما يتعلق بمنح الدرجات العلمية، أو الممارسات الفردية لأعضاء هيئة التدريس وطلاب الدراسات العليا من حيث انتحال أبحاث لا تعود لهم بغية الحصول على ترقية أو درجة علمية.

ولعل أخطر ما في استشراء الفساد في نظام التعليم العالي لبلد ما أنه يهدد سمعة مخرجاته من خريجين وباحثين ينظر إليهم بعين الريبة والشك ويعانون من أحكام مسبقة فيما يتعلق بقيمة شهادتهم ونوعية تأهيلهم، بغض النظر عن كونهم أبرياء أم مذنبين.

إن الشفافية في اتخاذ القرارات على جميع مستويات منظومة التعليم العالي من أهم إجراءات الحد من الفساد، وهنا نؤكد، كما فعلنا في مناسبات عدة، ضرورة إحداث هيئة وطنية مستقلة لضمان الجودة والاعتماد، والتي كما يتّضح من الدراسة التي عرضناها، أن من أهم مهامها التأكد من سلامة منظومة التعليم العالي والكشف عن الممارسات الخاطئة على الصعد كافة.

تتطلب مرحلة إعادة الإعمار في بلدنا الغالي العديد من القدرات عالية التأهيل في شتى المجالات العلمية والمهنية والإنسانية من خريجي جامعاتنا ومعاهدنا الحاصلين على مؤهلاتهم العلمية بكل جدارة ليشاركوا بفعالية في عملية البناء والتطوير، ومن هذا المنطلق يجب على جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية أن تبذل كل جهد ممكن لمكافحة الفساد بجميع أشكاله على جميع مستويات هيكلها التنظيمي، وفعالياتها الإدارية والعلمية، حرصاً منها على السمعة الأكاديمية لمؤسساتنا ومنزلتها العالمية، وعلى مهمتها الأولى وهي بناء القدرات الوطنية عالية التأهيل التي تلبي متطلبات إعادة الإعمار والتنمية المستدامة.

التشكيلي علي كامل مقوّص وألوان الطبيعة المشرقة

ثناء خضر السالم

الطبيعة سيدة الحضور في لوحات التشكيلي علي كامل مقوّص، يأتي بها إلينا بألوان مشرقة تضيء ما اخترقه العتم من داخلنا، فنغوص في ألوانه الزاهية وتفرح النفس بملقى الجمال. وأعمال التشكيلي مقوّص تمدّ الناظر بطاقة إيجابية.

• تسير على خُطا المدرسة الانطباعية بألوان مشرقة. هل وجدتَ نفسك في هذه المدرسة؟ حدّثنا عن تجربتك؟

المدرسة الانطباعية مصطلح لمرحلة معينة من تاريخ الحركة الفنية العالمية اشتغل عليها مجموعة من الفنانين وكانت لوحة كلود مونيه انطباع شروق الشمس البداية، انطلق الفنانون بعدها إلى الطبيعة لرسم أعمالهم الفنية، بتفاعل مباشر مع اللون وضوء الشمس واستمرت التجارب بعد تلك المرحلة، أي التجارب التي ترتكز على الطبيعة، وتشعبت الانطباعية إلى أن وصل كل فنان إلى أسلوب خاص بتجربته ببصمة تخصه يتميز بها من خلال ثقافته البصرية والروحية وأنا أشتغل ضمن مدرسة الطبيعة وفق تلك المفاهيم.

• للطبيعة الحصة الأكبر في فنك؟

طفولتي الريفية قرية ساحلية قرب مدينة اللاذقية جميلة جداً بكل عناصرها الطبيعية، البيت الريفي والطريق والنهر والساقية والتلال وعين الماء، البيادر والأشجار الكبيرة وقبل كل شيء جمال الإنسان الريفي القروي، تلك المفردات كانت المحرض للموهبة التي رافقتني منذ أولى سنوات عمري، ففي المرحلة الابتدائية كانت ميولي واضحة نحو الفن.

• هل نستطيع أن نقول إن الانطباعية دمَغَتك أم الأمر مختلف؟

ليست الانطباعية التي دمغتني بل الطبيعة هي التي دمغتني بكل حب واحتواء.

• في ألوانك فرح.. تفاؤل.. هل أنت كذلك في الواقع؟ وإن كنت كذلك، فمن أين تستمد تفاؤلك؟

أحب الحياة وأعيش بشكل متوازن مع المحيط، أحب الناس، أبتعد عن سلبيات الأمور، أبحث عن الخير، أميل إلى الرياضة المشي في طرقات مشيتها وأنا طفل ومازلت أمشيها كل يوم، طرقات منارة بضوء الشمس والقمر.

• تحضر المرأة في بعض لوحاتك وهي القاسم المشترك بين معظم الفنانين التشكيليين ما وجهة نظرك؟

المرأة في أعمالي وحياتي قيمة جمالية كبيرة كبر الطبيعة الأم الكبيرة التي تعطي وتعلّم، وأنا أحترم المرأة هي أيقونة الحياة الجميلة.

• لوحات مَن من الفنانين الراحلين والمعاصرين تشَدك ولماذا؟

أعمال فنية كثيرة تشدني من أعمال الفنانين الراحلين والمعاصرين وهناك تجارب فنية غنية على الصعيد العالمي والمحلّي لن أذكر أسماء، كما تشدني الثقافة البصرية للفنان، وأكن لها كل الاحترام.

• أنت مدرّس في معهد الفنون التشكيلية والتطبيقية. ما الذي قدّمه لك الاحتكاك بالطلاب؟ وهل هناك مستويات فنية في المعهد تركت بصمتها في حياتك؟

التعليم مهنة راقية جداً يتواصل الإنسان مع الآخر من باب المعرفة العقلية والوجدانية وهي معرفة سامية. وأنا أرى أن الفنان الموهوب لا ينتظر من معهد ولا كلية فنون أن يأخذ شحنته الفنية، وتاريخ الحركة الفنية حافل بفنانين كان الحافز الشخصي دافعهم إلى الإبداع والعمل الدائم.

• هل المعاهد كافية لتخريج فنان أظنه يجب أن يتعمّق كثيراً ألا توافقني الرأي؟

المعهد يقدّم بعض المعلومات تؤهل الدارس ليتعرف على بعض المداخل حول تعليم الفنون بشكل عام وبعض المعلومات عن الفن والدارسين في المعاهد أو كلية الفنون الجميلة يجب أن يصقل موهبتهم السعي والاهتمام الدائم.

• ما مشاريعك القادمة؟

أتابع أعمالي وأحضّر لمعرض قريب يكون خلاصة لمرحلة جديدة من عملي المستمر حول الطبيعة والذاكرة الطفولية التي أنهل منها.